مناحي الفكر الإيماني
عند النورسي

لم يكن «النورسي» بعقله الحركي الجاد وبروحه العبقري اللهيف - ليكتفي بالتوقف عند صور الحقيقة الدينية، وأشكالها المظهرية المباشرة. ولم يكن حسبه مما يعرض له من مسائل الدين وقضايا الإيمان، أن يباشرها بلمسات عقلية كسولة تظلُّ طافية فوق السطوح ولا تتجاوزها الى الأعماق والجواهر والأصول.

بل كان ديدنه دائماً وأبداً، الوقوف على الحقيقة الدينية في مساحاتها الواسعة، وأمدائها البعيدة، ومعانيها العميقة، وقد فعل ذلك عبر معاناة فكرية وروحية ظلت تضرب روحه وفكره زماناً طويلاً ضربات مدوية جعلت تعصف بأنواء وجدانه، وتلهب بوارق روحه التي ما انفكت تضيئ له من حقائق الدين والإيمان ما بلغت عنده درجة الشهود اليقيني الذي لا يقين قبله، ولا يقين بعده.

لقد خرج «النورسي» بعد هذه المعاناة المضنية من ظلام هاويات هذا الزمن الجحود ببصيرة حادة نافذة، ينفذ بها الى عمق أعماق الحقيقة، ويسبر غورها، ويرصد أعقد حقائق الإيمان، وأصعب غيبياته، فلا يني يحل العقد، ويكشف عن الأسرار، ويبدد بالدليل والبرهان، ما يُتَوَهَّمُ فيها من إشكالات، أو يُتَخَيَّلُ حولها من محالات، ويجليها للأذهان وقد

أنحلت عقدها، وسهل صعبها، ووضح غامضها، واستوعبها العقل، واعتقدها الضمير، واطمأن اليها القلب والوجدان.

و «النورسي» هنا، وامتثالاً لقوله تعالى في مخاطبة رسوله الكريم ﷺ وكل مؤمن معه ومن بعده: ﴿**فاعلم أنه لا إله الا الله**﴾ لا يقف عند المعاني المباشرة التي توحي بها كلمة التوحيد؛ أظهر مظاهر الاسلام، واكثرها تردداً على ألسنة المسلمين. بل يجهد فكره للحصول على «علم التوحيد» من خلال مطالعة صفحات الكون واستقراء كتابه والبحث عن جذور هذا العلم في صور الحياة واشكالها ودرجاتها في الكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان، لأنه مقتنع تماماً أن أية حقيقة من حقائق كتاب الله المنزل على محمد ﷺ لابد أن تجد ما يسندها ويعززها في طوايا الكون كتاب الله المشاهد والمحسوس، فالبحث والتفتيش في هذا الكتاب لابد أن يوصل الانسان الى حقيقة التوحيد التي تنبئ عنها آيات الكون بسماواته ومخلوقاته وموجوداته.

وبالفعل فقد وضع «النورسي» أصبعه على شارة التوحيد وسكة الأحدية المضروبة على وجه كل حي وجامد في هذا العالم، وخلص في خواتيم ابحاث كثيرة الى نتيجة مهمة مؤداها:

إن اسناد «الخلق والأيجاد» الى الواحد الأحد هو أسهل سهولة مطلقة من اسناده الى الكثرة الكاثرة من شركاء الأسباب والطبيعة أو الآلهة المتوهمة، وذلك لأن الكثرة إما أن تكون متساوية في القدرة والعلم والحكمة التي هي من مستلزمات الخلق والأيجاد أو متفاوتة...

فان كانت متساوية فأن قدرة أحدها وعلمه وحكمته تغني عن مجموعها، فيبرز هنا كذلك الواحد المؤثر في الخلق بينما يبطل عمل المجموع إن افترضنا جدلاً أنَّ لهم عملاً مؤثراً..

وان كانت متفاوتة؛ أي: يوجد في هذه الكثرة المفترضة مَنْ هو قادر، ومَنْ هو أقدر، ومَنْ هو عالم ومَن هو أعلم، ومَنْ هو حكيم ومَنْ هو أحكم، فلا مناص في هذه الحال من أمرين:

إما أن يخضع الجميع ويستسلموا لمن هو أقدر وأعلم وأحكم، وهنا يبطل أيضاً حكم الكثرة..

وإما أن يستقلَّ كُلٌّ بنفسه ليخلق ما يشاء كيف يشاء، وبذلك ستأتي المخلوقات في عماء من الفوضى والاضطرابات والتهافت، فينقص المصنوع بقدر ما ينقص صانعه من علم وحكمة وقدرة.. غير أن المشاهد الملموس هو خلاف هذا، إذ يشاهد على المخلوقات من النحلة حتى الفيل، ومن الذرات حتى المجرات الاتقان والانتظام، والقصد والغاية، وأسلوب خلق واحد، ومعجزة خلق واحدة، الأمر الذي يجعلنا نقول مع «النورسي»:

إن الذي لا يقوى على خلق نحلة مثلاً، لا يقوى على خلق السموات والأرض، ومَنْ لا يقوى على خلق ربيع كامل لا يقوى على خلق زهرة واحدة، لأن كل ما في الكون مرتبط بعضه ببعض ، فخالق النحلة هو نفسه خالق ما يتغذى به النحل، وما يتنفسه، وقس على هذا كل الكائنات والموجودات التي ترتبط حياة بعضها بحيوات بعضها الآخر، والتي يحكمها قانون الهي واحد هو لواحد أحد فرد صمد، مطلق القدرة والعلم والحكمة، كما هي اسماؤه الحسنى وصفاته الجلى.

وهو يستفيض في شرح هذه الفكرة في ثنايا العديد من رسائله، ويقربها الى الاذهان بما يضرب لها من الامثال حتى تغدو بديهية تلزم كل منصف الأيمان بالله الواحد الأحد الذي لا مثيل له ولا شريك، فيقول في كتابه «اللوامع»:

«ان الذي خلق عين البعوضة، هو الذي خلق الشمس ودرب التبّانة، والذي نظّم معدة البرغوث هو الذي نظم المنظومة الشمسية، والذي أدرج الرؤية في العين، وغرز الحاجة في المعدة هو الذي كحل عين السماء بأثمد النور، و بسط سفرة الأطعمة على وجه الارض».

فوجود الله تعالى واحداً متفرداً بالالوهية والربوبية، وكونه ـ جلَّ شأنه ـ عادلاً وحكيماً يقتضيان خلق الآخرة ـ كما يرى النورسي ـ هذه الآخرة التي ينتهي اليها الانسان بعد مغادرته الدنيا، لأن القاء الانسان الى الدنيا، ثم حبسه فيها من غير آخرة ينتقل اليها بعد موته، عمل عبثي غاية في العبث، وظلم لا أشدَّ ولا أقسى منه. والله تعالى منزه عن الظلم والعبث.

فالدنيا من غير الآخرة عبث مقيت لأنه لا يفضي الى شئٍ، كَمَنْ يقول لك: إزرع وارو ولكن لا تحصد، واستجش كل آمالك وأشواقك، ولكن دعها تمضي الى بحر العدم، واستخرج كل كنوز عقلك وروحك، وابتعث جميع لطائف قلبك، ولكن لا خلود يمنحها البقاء أو يفتح لها ابواب الديمومة والثبات، تعلّمْ وألمَّ بالمعارف والعلوم، وكابد الأهوال الى الحق، وتشحط بدمك في سبيل الواجب، ولكن كل هذا هباء تذروه رياح الزوال، وأعاصير العدم.. عِشْ فاضلاً أو فاسقاً، كافراً أو مؤمناً، قاتلاً أو مقتولاً، أميناً أو خائناً.. فالنقائض والأضداد كلها سواء، الأسود كالأبيض، والخير كالشر، والحق كالباطل، والعدل كالظلم... الى آخر هذه النقائض، لأن لا شئ وراءَ هذه الدنيا يجازي ويثيب.. فأي عبث رهيب أشد رهبة من هذا العبث، وأي ظلم يسحق أخضر الانسان ويابسه مثل هذا الظلم...؟! تعالى الله وتنزه وتقدس عن أن يعبث أو أن يظلم..

وربما كانت «الآخرة» أسبق في الوجود من «الدنيا»، فقد درجت حياة أول بشري عليها قبل أن تعرف «الدنيا» حياة البشر، لا بل حياتها هي الحياة الحق، وهي الأعمق والأشمل والأعلى من كل ما عرفناه وجربناه من حيوات على هذه الأرض، وصدق الله حيث يقول: ﴿**وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**﴾(العكنبوت: ٦٤).

فآدم عليه السلام ـ أبو البشر ـ فتح عينيه في جنة الآخرة، وجرّب العيش في أكنافها، الا أن طاقات آدم واستعداداته النفسية ظلت منطويةً في أعماقه لم يُتَح لها أن تتفجر ـ كما يشير النورسي ـ فلم يكن قد جرّب مكابدة الصبر على طاعة الله،.. فأمر به فأنزل الى أرض الدنيا ـ ارض الامتحان والاختبار ـ ليتعلم ويجرب ويكابد، وليتاحَ بذلك لاستعداداته وطاقاته أن تخرج من دور القوة الى دور الفعل، فيكابد الصبر على الطاعات كما يكابد الصبر عن العصيان، وأورث ذلك أبناءَه الآدميين..

فالدنيا إذن دار امتحان واختبار، وهي البودقة التي تنصهر فيها النقوش البشرية لتظهر معادنها، فمن الظلم والعبث أن يتساوى في الأجر والجزاء معدن نفيس كالماس، ومعدن خسيس كالفحم، كما يقول النورسي.

وخلق «الآخرة» كما يقتضيه العدل الإلهي، فهو كذلك استجابة كريمة من الله الرب الرحيم لدعوات البشر بلسان الحال أو المقال وطلبهم البقاء والخلود ـ هكذا يقرر النورسي ـ كما هو تلبية اللهفات تلك الأشواق، وذلك الحنين الملتاع المتصاعد من أعماق الفطرة البشرية راغباً في التشبث بأسباب الباقي الأبدي الذي يملك البقاء والأبد، حتى إن الشيطان اللعين

لم يجد باباً لجر آدم وزوجه عليهما السلام الى المعصية الاّ باب هذه الفطرة المضطربة بحب الخلود في أعماقهما فوسوس لهما من خلالها قائلاً: ﴿ **ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين** ﴾(٢٠:الاعراف) فلشوقهما الى الخلود، وتهافتهما على البقاء، ارتكبا المعصية، وفاتهما أن الطاعة هي طريقهما الى هذا الخلود الذي ينشدانه.

لأن طاعة الله تعالى هي أعظم منابع الخير، والخير وجود دائم لأنه مرتبط بواجب الوجود، ويستمدُّ منه، ويصب في عالم البقاء الذي يلتقيه الانسان بعد مغادرته الدنيا، بينما المعصية شرٌّ، والشرُّ عدم ـ كما يقول النورسي ـ فهو مرتبط به، ويستمد منه، ويفضي اليه في خاتمة المطاف، لذا احتاج الشرُّ لكي ينطلق من نجى السلب الى فاعلية الأيجاب الى قوة رهيبة تدفع به الى سطح الاحداث، وهذه القوة الرهيبة الغاشمة يمثلها الشيطان بمكره ووسوسته خير تمثيل، فهو يدفع عجلات شره باتجاه تدمير روح الانسان، وهدم وجوده، فالشر مهما كان جزئياً الا أنه يحدث من الدمار والخراب ما هو مخيف وخطير. الأمر الذي يضطرنا أن نكون على حذر دائم بحشد جميع قوانا الخيرة لنقوى على سد كوى النفس التي يمكن أن تدلف منها هذه القوة الرهيبة المدمرة.

واعتماداً على هذه المقدمات كون «النورسي» نظريته في اعتبارية الشر، واسبقية الخير عليه، وأن وظائفه مهما بلغت من الضراوة في مصارعة الخير، فهي ضرورية لتحفيز قوى الخير، وتفجير طاقاته الخامدة في الانسان والعالم، وهو بهذا ينفع من حيث يُظَنَّ أنه قد أضرّ.

فالنفع والضرُّ نسبيان وليسا مطلقين، فربَّ ضارّ من جهة نافع من جهة أخرى، وربَّ نافع من وجه قد يضرُّ من وجه آخر.

ولكون الانسان ابن حاضره ويومه وساعته لذا فهو عاجزٌ بالضرورة عن فهم حِكَم ما يقع به من مكاره أو مرضيات كما يرى «النورسي».

فقَد ينطوي خيرٌ كثير فيما يبدو لنا وكأنه شرٌّ نازلٌ بنا، وما نراه بنظرنا القاصر المحدود وكأنه ظلم نازلٌ بفلان أو علان قد يكون هو العدل والانصاف عينه، تماماً كما تشير الآية الكريمة: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم**﴾.

فالقدر يحيط بماضي الانسان وحاضره ومستقبله، أي بما كان، وبما هو كائن، وبما سيكون، فتأتي مقدراته واقضيته متطابقة مع علم الله بما يحتاج اليه هذا الانسان من صفعة تأديب، أو صرخة تنبيه، أو لمسة حنُو.. أو.. أو.. الى آخر هذه المقدرات السارَّة أو المؤلمة المنزهة عن الظلم والشر، بل هي العدل كله والخير كله.

لأنّ جزء الاختيار الذي يملكه الانسان هو مناط التكليف، وهو المقصود بالمحاسبة.

وقد طولب الانسان بناءً على هذا الجزء الاختياري الذي يملكه، بالأيمان والعمل وحُجبَ عنه «علم الله» بما سيفضي اليه من سعادة أو شقاء في الآخرة.

ولا يتصورنَّ أحد أنّ القدر يخبط الناس خبط عشواء بلا قصد ولا هدف، فيسعد أناساً ويشقي آخرين، ويعلو بأشخاص ويهبط بغيرهم، ويغني هذا ويفقر ذاك، ويخترم حياة فلان ويطيل في عمر علان، ويسحق أفراداً ويشمل بالرحمة آخرين، هكذا اعتباطاً بلا غاية ولا قصد.

أو أن القدر يأتي نتيجة مناقضة لجميع مقدماتها، أو مُسبّباً مقطوع الصلة بسببه، أو معلولاً لانسب له بعلته.. فهذا تصور للقدر سطحي وساذَجٌ غاية في السطحية والسذاجة، فضلاً عن أنه يقدح بالحكمة التي أُرْسِيَ على اساسها العَالَمُ. فالقدر ـ كما يقول النورسي ـ مرتبط بالسبب والمسبّب، وبالعلة والمعلول.

فبذرة الجنين في رحم أمه تحتوي على خارطة مقدراته منذ مولده حتى مماته، كما ترتسم خارطة مقدرات الشجرة في بذرتها أو نواتها ـ كما يقول النورسي ـ وهي مقدرات موجودة بالقوة ولا تخرج بالقوة ولا تخرج الى الفعل إلا بارتباطها بالاسباب والعلل، لأن الأسباب والعلل هي جزء لا يتجزأ من هذه المقدرات ـ كما رأينا ـ تلازمها ولا تنفك عنها، بل تمضيان معاً في دفع حياة الانسان في السبيل المخطط له في علم الله.

ولأن علم الله محجوب عنا. ولأننا نملك حرية الاختيار. لذا فنحن مسؤولون ومجازون بما نفعله من خير أو نقترفه من شر

ولكن ليس للانسان أن يتيه فخراً بما يأتيه من أعمال البر والتقوى ـ كما يقول النورسي ـ لأن القدر قد أودع في بذرة حياته مقدرات الخير والاستعداد له. بل عليه أن يشكر القدر على عطائه ونعمائه... أما إذا اختار إقتراف الشر بما يملك من كوامن الاستعداد له، فيكون بذلك قد وضع نفسه في موضع الحساب والمسؤولية، وليس له أن يلقي بتبعات انتكاسه في الشرعلى القدر، لأن القدر منحه حرية الاختيار، ولم يلزمه بفعل ما يعلم أنه سيفعله.

والقدر بعد كل هذا الذي استعرضناه من شؤونه، هو ملح الأرض، فبدونه تأسن الحياة البشرية وتركد وتتعفن، فالمقدرات تحرك رواكد البشر،

وتهز سواكنهم، وتقلق طمأنينتهم الى أحوالهم، وتبتعث فيهم المطامح والآمال، وتدفع بهم الى معترك الصراع من أجل السبق والتفرق.. فمن مضطرب مآسيهم وأحزانهم، ومباهجهم ومسرّاتهم، ومن صراعات أقدارهم بعضها مع البعض الآخر، تتلاقح الافكار، وتحتدم المشاعر، وتنقدح أزندة العقول والأفهام، فنجم من بين ذلك ابطال العقيدة، وعباقرة الأيمان ليقودوا تيارات الخير على هذه الأرض، وليحركوا التأريخ في اتجاه الانتصار على مواطن الضعف في الانسان التي هي مبعث كل شر في هذا العالم.

ولعلَّ سائلاً يسأل هنا: لماذا القدر..؟ ولماذا الانسان الذي يرتبط به القدر إرتباط اللازم بلازمه..؟ أو بالاحرى لماذا الخلق والايجاد أصلاً..؟ ولماذا الكون والكائنات..؟ والوجود والموجودات..؟ ما سرّ ذلك وما حكمته..؟!

وأمثال هذه الاسئلة عن سرّ الخلق ومغزى الوجود والحياة هي مثار اهتمام رجال الفكر والعلماء بمختلف اختصاصاتهم، وشتى معارفهم، من قديم الزمان وحتى هذا اليوم..

وقد ذهبوا في تفسير ذلك مذاهبَ شتّى ـ لعل أسوأها وأبعدها عن العقل والمنطق ذلك المذهب الذي ينسب الخلق والايجاد الى تراكمات الصدف والتطور الطبيعي، والذي يجلس الانسان فوق قمته من دون تدخل الله سبحانه وتعالى الذي ابتني هذا المذهب بالاساس على إنكار وجوده.

ولكنّ إنساناً تمضي به الطبيعة لتجلسه فوق قمة تطورها، ثم تتركه هناك فوق القمة خائفاً يترقب، تحيطه الوحشة، وتتغشاه الريبة، يحمل على

كاهله هموم زمانه، وأحزان عيشه، وتثقله الأشواق التي لا يعرف أين يتوجه بها، تدميه الجراحات، وتكويه العذابات من غير سند يسند اليه ظهره، ومن غير يد تمسح عنه الجراحات، وتدفع عنه سهام الأعداء. ومن دون معين يطلب العون منه، ومن دون متلق يتلقى اشواقه ويسمع هتافه ونداءه..

إن انساناً من غير الله ـ كما يبشر به هذا المذهب ـ هو إنسان ضائع وتائه في هذا الكون ـ كما يقول النورسي ـ تعاديه الكائنات، وتجافيه الأرض والسماء، ويستوحش منه الشجر والحجر والمدر، والوحش والطير والدواب، لأنه ليس بينه وبين خالق هؤلاء جميعاً سبب، كذلك الأعرابي ـ ولا مشاحة في المثال ـ الذي يريد قطع المفاوز من غير أن يعرف له احد قبيلة أو نسباً يحتمي بهما ويردان عنه كيد اللصوص، وقطاع الطرق..

أما مذهب «النورسى» في سرّ الخلق، فهو مذهب يكاد ينفرد به. لم يسبقه اليه أحد مِمَّنْ كتب في علوم الأيمان على قدر ما أعلم.. وهو مذهب فيه من عفوية البداهة وصدق الحدس ما يرشحه لكي يكون الجواب الشافي على جملة الأسئلة المطروحة في سرّ الخلق والإيجاد..

فهو يرى أن كل جميل يحب جماله ويحب أن يراه وأن يريه غيره..

وأن كل صاحب صنعة يحب صنعته ويحب أن يراها ماثلة أمامه وأن يريها غيره...

وأنّ الرسام الذي تموج نفسه بعلوم فنه، وجمال أحاسيسه، ورهافة مشاعره، لا يسأله أحد عن سرّ إبداعه في فنّه، أو عن حكمة ما ترسمه ريشته وألوانه من لوحات، أو يحفره إزميله من مجسمات فوق الصخر الأصم.

فإذا كان الأمر هكذا ـ وهو هكذا فعلاً ـ فكم يبدو فضولاً لا معنى له إذا نحن أردنا من الخالق البارئ المصور أن يشبع فضولنا ويخبرنا عن قصده ومغزاه فيما يخلق من خلق، ويوجد من موجودات.. والذي يريده الله أن يُعلمه انه تعالى منزه عن اللهو والعبث، وأنه لم يخلق شيئاً إلا لقصد وغاية.. فكل جمال مشاهد في هذا العالم إنما هو ومضة من ومضات اسمه «الجميل».. وكل مخلوق وكائن إنما هو لمسة من لمسات اسمه «القدير».. وكل حي إنما يستمد حياته من اسمه «الحي».. والموجودات قاطبة تستمد وجودها من اسمه تعالى «الموجود».

فأسماؤه الحسنى تتجلى على مرايا العوالم والأكوان التي تعكس أنوارها في عيون الموجودات، فتشاهد الموجودات بهذه الأنوار بعضها بعضاً، ويرى كل واحد منها في الآخر حجة الله وآيته على وجوده... ثم يأتي الانسان، المشاهد الأعظم بعينه الكونية الكبرى، فيرى ويعجب ثم يذهل ويشده، ثم يستهول ويستعظم، ثم يحمد ويسبح ويقدس ويخر ساجداً أمام مَنْ له الخلق والأمر.. هكذا يرى «النورسي» بداهة الخلق وعفوية الأيجاد من غير تكلف أو تفسلف.

واذا كان الانسان مازال يحتفظ بجهاز نفسي سليم غير معطوب او ممسوخ، فأنه قادر على استقبال اشارات الكون وإيماءاته، والتقاط شفرات الحياة ورموزها التي تُري هذا الانسان بأنها كلمات وسطور في كتاب الكون الاعظم الذي يضع الله سبحانه وتعالى اسمه «الخالق، البارئ، المصور» على غلافه، ويترك ختمه وبصمات يده الصناع فوق وجه كل حي وجامد في هذا العالم، فمشاهدة ذلك تبتعث فيه الأشواق الى معرفة الله، ومعرفة فعاله في الموجودات، وتأثير أسمائه وصفاته فيها، فيحس من

حيث كونه موجوداً ـ كأي موجود آخر ـ بالأنتساب اليه، واللجؤ اليه، والتوجه نحوه، وطلب العون منه... ثم يلتفت الى ما يبثه وجوده من إشارات، وما تومئ ذاته من إيماءات، فيعترف من خلال ذلك على فقره وعجزه وجهله وضيقه ومحدوديته بأزاء قدرة الله المطلقة، وعلمه المطلق، وسعته المطلقة، أو بالاحرى إدراك مطلق صفات الله وأسمائه مقابل محدودية صفاته ونسبيتها.. ويظل يرقى في سلم هذه المعرفة الإلهية درجةً بعد درجة حتى يصل الدرجة التي يجد فيها نفسه وقد غدا الكون أنيسه، والموجودات روحه وريحانه، والكائنات صديقه تبادله الودّ والمحبة، غير أنه سيرى كلَّ أولئك حرفاً لامعنى له مالم يعطه الله تعالى معناه ومغزاه، وقفراً بلقعاً من غير رحمة الله التي ما مست شيئاً إلاّ إخضرَّ وأخصب كما يقول «النورسي»..

وربما يُسَخِّرُ الله بعض جوانب الكون، أو يأمر بعض الكائنات بطاعته والامتثال لأمره، وما معجزات الأنبياء والرسل الا من هذا القبيل.. وهذه المعجزات بالإضافة الى مقاصدها الدينية المعروفة، فهي إعلان صريح، وصفعة قوية على وجوه اولئك الأقوام الذين يتعبّدون الأسباب الطبيعية وينسبون اليها الخلق والايجاد ـ كما يرى النورسي ـ فالمعجزة تثبت بأن قوانين الطبيعة ما هي الا قوانين إلهية يمكن كسرها ومزقها بأمر من الله ومشيئته، أي أنها ليست خالقة بل مخلوقة وهي لا تملك من أمرها شيئاً، بل أمرها كله بيد الله يقلبه كيف يشاء..

ولعلَّ الكون لم يُسَخَّرْ لأحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما سُخِّرَ لنبينا محمد ﷺ ولاسيما في معراجه، هذا المعراج الذي يكرس له «النورسي» رسالة خاصة، مبيناً دلالاته ومغازيه للمسلمين ولغيرهم.

ثم إن حافظة الكون ـ كحافظة الانسان ـ تنطوي على صورة وسيماء كل موجود بعد موته واندثاره، فموته لا يعني انعدام وجوده نهائياً كما يبدو لأول وهلة، فهو موجود بدرجة من الوجود في مخيلة الكون. فكما تحتفظ ذاكرة الانسان بصور الموجودات واطيافها مِمَّنْ كان يرافقها ويعايشها إذا هي ماتت وتوارت عن الانظار، كذلك ذاكرة الكون تظلُّ محتفظةً بصور الاشياء وسيماها –كما يرى النورسي– فإذا هي بعثت من جديد تبعث على صورتها المحفوظة في عقل الكون للغرض نفسه الذي أوجدها الله من اجله.. فموت مئات الألوف من أنواع الحشرات والنباتات في فصل الشتاء ثم عودتها بأعيانها، أو بأشباهها ومثيلاتها الى الحياة من جديد في فصل الربيع، هو في الحقيقة نموذج مصغر للبعث والنشور يتكرر أمام انظارنا كلَّ ربيع كي يذكرنا بالبعث الأكبر الذي سينهضنا من الأجداث لمناقشتنا الحساب، لأنه ليس من المعقول أن يشذَّ الانسان ـ وهو أرقى مخلوقات الله وأسماها حياةً ـ عن أن يبعث من قبره وبذاته، ولاسيما وأن مخلوقات أدنى منه مرتبةً في سلم الحياة تبعث بعينها وبذاتها إذا جاء ربيع بعثها...

* * *